مجلة أبحاث البصرة العلوم الإنسانية المجلد ٣٢ العدد (١) الجزء (أ) ص١١٦-١٣٨

البنية السردية للخبر في كتاب بلاغات النساء

د. عقيل عبد الحسين
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الراوي

الخبر إبلاغ معنى أو رسالة. وستكون لوسيلة الإبلاغ علاقة بالخبر[١]، وهي الراوي. وله علاقة أيضا بالمروي له، أو السامع الذي يسمع الخبر. وبذا سيكون الخبر سردا أو بنية سردية يتوفر فيه الراوي والمروي له والمروي، أي متن الخبر. ويحدد نوع المعنى أو الرسالة الموضوع. وسيحدد الموضوع نوع الخبر ومن ثم نوع الأخبار أو الكتاب الذي تنتظم فيه الأخبار. فكتاب مثل كتاب بلاغات النساء[٢] موضوعه النساء ومؤلفه يجمع الأخبار التي تشترك في انها تدور حول النساء، وحول قدرتهن المتفوقة في الكلام والتعليق، أو المجادلة أو الفعل. أما الرسالة فهي مما يدخل في مستوى ابعد من الخبر ومن الكتاب. لعله مستوى النص بوصفه، كما يرى بعض النقاد[٣]، مدار المغزى البعيد، ومدار الثقافي، والمسكوت عنه الذي تقع فيه المرأة ضمن بنية معنى يُراد له ان يُعزز ويشيع وينتشر في الجماعة، تكون هي فيه الأقل شانا قياسا بعنصر آخر مقابل هو الذكر -ربما- أو السلطة أو المتفوق أو غيره ممن يقع في دائرة الثقافي ويتضمنه النص، ويؤول إليه بوصفه جماع تلق يتجاوز دائرة البنية السردية (الراوي والمروي له). ويتجاوز دائرة التلقي الأول المفترض انه حصل، الذي يتضمن ناقل الخبر الذي يوصف بأنه خارجي أو مفارق لمرويه[٤] يتدخل من قريب أو من بعيد في متن الخبر. وان كان ذلك على مستوى أضيق مما هو عليه في أنواع سردية اكبر كالسيرة أو الأيام أو المغازي، فيعيد تأهيل المروي ليصير مناسبا لعصر الرواية -رواية الخبر- ولسياقها ولمتطلبات المتلقين وأذواقهم، وللحاجات التي يريدون ان تلبيها لهم الرواية بوصفها نشاطا ثقافيا ونفسيا وجماعيا.

ولعل ما يلحق الخبر من تغيرات وما يطال نوعه من آثار قد تصل إلى إنتاج أنواع جديدة منه كالسيرة، التي هي مجموعة أخبار كما يعرفها احد الباحثين[٥]، أو كالمقامة التي هي نوع يفارق الخبر، ويحدث فيه تغييرات تحوله نوعيا إلى شكل مختلف يصعب تحديد علاقته بالأصل أو النوع الأصلي[٦] أي الخبر.. لعل تلك التغييرات والآثار إنما تنشأ من الثقافي ومن صلة النص، لا الحكاية ولا الخطاب، بذلك الثقافي. وسيقع الراوي على مستوى الخطاب، أو الطريقة التي ينتظم بها المروي لغويا كما يعرفه السرديون[٧]، على مسافة من مرويه، فليس هو متماهيا معه، يتدخل في حركة الأحداث ويقدم تصوراته عنها وعن الشخصية ويغير أو يعدل أو يضيف كما في السيرة، ولا يشترك فيها في الغالب[٨]، كما في المقامة الهمذانية، حيث يشترك الراوي في الأحداث مرة. ويكون مرة شاهدا يشاهد ما يقوم به البطل

ليرويه[٩]. وسوف تقتصر وظيفة الراوي على الإبلاغ أو الإخبار. فهو ينقل الخبر بصيغته وشكله، وينقله دون تغيير يذكر، وقد ينقله عن راو قبله وعن آخر وهكذا في سلسلة سند تشبه سلسلة السند في الحديث، لتعزز الثقة بصيغة الخبر وبنيانه، وبعدم تدخل الرواة –الخارجين عنه في الغالب– في متنه تحريفا وتغييرا، ولتتحقق للخبر أهم شروطه النوعية، اعني الثبات والإشارة إلى التاريخية، الكامنة فيه. فهو في الأكثر مأخوذ من التاريخ، الذي يُظن انه حدث في وقت سابق عن وقت الرواية الآن، وتحقق على وجه الإمكان، وليس فيه، غالبا، ما هو محال أو خرافي أو غير ممكن. فهو صوغ مكثف لواقعة[١٠] تُستحضر في وقت الرواية –الآن– لغايات معينة ويُعاد استحضارها كلما دعت الضرورة أو تطلب السياق.

ان عدم تدخل الراوي والتأكيد على موقعه خارج متن الخبر وعلى انه مفارق لمرويه –على مستوى الخطاب– سيساعد على الإبقاء على صلة الخبر بالتاريخ أو يقوي تاريخية الخبر[١١] في نفس المروي لهم، وينفي عنه الإيهام[١٢] الذي قد يصاحب تدخل الراوي في المروي وتماهيه به. وسوف يحدد موقع الراوي وظائفه في الخبر، كما يحدد دور المروي له، إذ لا يؤثر الأخير في الراوي، ولا يؤثر من ثم في المروي الذي لا يستجيب كثيرا للسياق الثقافي، فينحصر في هيئة وصيغة محددة تُستعاد وتروى وتتداول بحذافيرها. وتُستبدل إمكانية تغير النص وتطوره بتغير الظروف والسياقات ورغبات المتلقين، بما سيعرف بسياق الكتاب. فما سيُستبدل هو سياق الكتاب الذي يخضع لموضوعه ولغايات المؤلف، ولغايات المُؤلَف له، ولظروف العصر، وهو ما نجده في تآليف الجاحظ مثلا، إذ ينقل الخبر بصيغته وبشكله الجامد، ويوضع في سياق الكتاب ليستبدل ما يدعى "تصيته" بموقعه من الكتاب، وبذا تصير الأخبار مقروءة ودالة وذات أبعاد جديدة في هذا السياق[١٣].

نوع الكتاب

يخبر الخبر عن شيء ((ليجعل المخاطب على علم بما وقع))[١٤]. وهو ((يركز... على أحداث معينة))[١٥]. أي يتصل بتجربة سابقة ويحاكيها، ليشكل عالما ((موازيا ومختلفا عن العالم الخارجي))[١٦] يتضمن دلالة لا تتضمنها التجربة قبل ان تنتقل إلى عالم اللغة. وقد يكون انتقاؤها وانتخابها من بين مجموعة كبيرة من التجارب والوقائع والأحداث ذا دلالة. ثم يأتي بعد ذلك النسق الذي يُروى عليه الخبر، والسياق الذي يوضع ضمنه عدد كبير من الأخبار، كما هو الحال في كتاب بلاغات النساء. ولهذه الأمور أيضا دلالة وصولا إلى المعنى الثقافي الذي يكون مبررا للاحتفاظ بالخبر ولتداوله وللانتفاع به والاستمتاع بإعادة قراءته. وأيا كانت علاقة الخبر بالتجربة وأيا كان نمطه (واقعي أو غريب أو عجيب)[١٧] فهو لا يقوم على التجربة أو على العالم الأصلي، أو ذلك الذي نظن نحن القراء أو الباحثين انه العالم الأصلي، أو

عالم القصة، أو المتن الحكائي كما يسميه الشكلانيون[١٨]، ولكنه يقوم على الطريقة التي تُحكى بها التجربة أو تُنقل بها، وتشكل هي العالم الموازي الذي سينطوي على الدلالات المتنوعة. وستكون الطريقة التي تُمثل بها التجربة أو الواقعة كلامية أو فعلية في كتاب بلاغات النساء هي موضوع البحث.

ولكن قبل ذلك علينا ان نتحدث عن الإجراء. فما الإجراء المنهجي الذي يمكننا من توصيف متن الخبر الحكائي. ونقول متن الخبر لأننا استبعدنا سنده وما يتضمنه من راو معلن عن اسمه، وما يشير إليه من راو غير مسمى ينقل الخبر على مر الزمن. وسيكون الإجراء أكثر إلحاحا إذا انتبهنا إلى ان الكتاب لا يصرح في عنوانه بأنه كتاب أخبار نساء وإنما هو بلاغة، وقد تكون بلاغة بمفهومها التقليدي الذي عناه الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وأراد به القدرة على إبلاغ المعنى بأساليب تعبير فائقة كالخطابة، أو الرد المفحم أو السلوك الدال أحيانا. وهو يجافي طبيعة الخبر المتعارف عليها التي نجدها في كتب الأخبار. فهو يخبر عن واقعة قد لا يحضر فيها كلام الشخصية وقد لا يكون لحضوره، ان حضر، أي تأثير بلاغي يذكر، إذ الخبر، كما نقلنا، إخبار عن واقعة أو حدث. ان معظم أخبار الكتاب التي لا يسميها المؤلف أخبارا أو لا يعنونها بكلمة أخبار، تقوم على ما يشبه المدخل أو التمهيد الذي يتولى الراوي نقله ويتضمن أفعالا قليلة ومختصرة تمهد لحديث الشخصية الأساسية في الخبر، ولكلامها الطويل أو أقوالها التي تصنف ضمن الكلام البليغ فقد ((بلغ عائشة أم المؤمنين ان أناسا نالوا من أبي بكر فبعثت إلى ازفلة منهم فعذلت وقرعت ثم قالت...))[١٩]. ليبدأ بعد هذا خطاب الشخصية أو كلامها الموجه إلى الجماعة مقرعا وموبخا ومنبها إلى فضل أبيها والى سابقته والى موقعه من الرسول (ص) ومن الإسلام. ويستمر الكلام إلى نهاية الخبر، فالأفعال: (بلغـــا، و بعثـــ(ت)، وخرجـــ(ت)، ثم قالـــ(ت).. لا تأخذ غير سطر واحد من متن الخبر الذي يمتد لثلاث صفحات. وقد تكون الأفعال الممهدة اقل من هذه، كما في الخبر الذي يلي الخبر أعلاه وفيه: ((بلغنا ان عائشة لما قبض أبو بكر ودفن قامت على قبره فقالت...))[٢٠]. ليأتي خطاب الشخصية البليغ مشيدا بمزايا الأب وصفاته الحسنة.

وتتكرر بنية المتن ذاتها مع فاطمة بنت رسول الله (ص)، فـــ ((لما اجمع أبو بكر رحمه الله على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها فدك وبلغ ذلك فاطمة لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله (ص) شيئا حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاءة ثم أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم فافتتحت الكلام...))[٢١]. لينقل الخبر كلام الشخصية الأساسية الذي يمتد على ثلاث صفحات تتافح فيها عن حقها وتذكر المسلمين بما كانوا عليه قبل أبيها النبي (ص) من عبادة الأصنام ومن انحراف عن الحق ومن ضلالة ومن ضعف وتذكرهم بنصر الله لهم فيما بعد على المشركين وبما صاروا عليه من عزة، وما هم عليه الآن بعد ان توفي النبي (ص) من خفة إلى

الابتعاد عن الحق ولما يزل ((العهد قريب والكلم رحيب والجرح لم يندمل))[٢٢]. وتحذرهم من الغواية ومن ترك الإسلام ومن ابتغاء حكم الجاهلية الذي يبشر به ابتزازها ارث أبيها قائلة: ((أفي الكتاب ترث أباك ولا ارث أبي، لقد جئت شيئا فريا))[٢٣]. وتتوعدهم القيامة ((وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون))[٢٤]. ويعود متن الخبر إلى الحدث بعد ان يتوقف الكلام ويتولى الراوي تصوير ما يحدث بعد ذلك بالقول: ((ثم انحرفت إلى قبر النبي (ص) وهي تقول: (أبياتا شعرية مضمونها ان بعد موتك حصلت أمور مؤلمة وان قومك اختلوا فاشهد على اختلالهم)... قال –أي الراوي– فما رأينا يوما كان أكثر باكيا ولا باكية من ذلك اليوم))[٢٥].

ولن يخرج تولي الراوي إتمام الخبر صيغته عما سبق من أخبار عائشة وعما يليه من أخبار النساء كأم كلثوم عليها السلام وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأروى بنت الحارث بن المطلب وسودة بنت عمارة والزرقاء بنت عدي وغيرهن ممن يسيطر كلامهن على المساحة الأكبر من متن الخبر. ونشير إلى ان المؤلف يعنون أخبارهن أو المقاطع المخصصة لهن من الكتاب بعنوان "كلام" ولا يقول (أخبار) إلا في المقاطع التي يتراجع فيها الكلام وتضيق المساحة التي تُخصص له من متن الخبر، ليقتصر على التعليق بجملة أو جملتين وليحل محله الحدث كما في أخبار ذوات الرأي والجزالة من النساء، فقد ذكر ((ابن الاعرابي ان عمر بن الخطاب قال: أيها الناس ما هذه الصداقات (ج صداق وهو مهر الزوجة) التي قد مددتم إليها أيديكم، لا يبلغني ان احدا جاوز بصداقه صداق النبي صلى الله عليه. قال: فقامت امرأة برزة فقالت: ما جعل الله لك ذلك يا ابن الخطاب وقد قال الله عز وجل: (وما أتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا). فقال عمر: ألا تعجبون أمير اخطأ وامرأة أصابت ناضل أميركم فنضل))[٢٦]. فالحدث يتوالى: (بلغ) عمر ان هناك مبالغة في مهور النساء فـ(خطب) ونهى عن المبالغة فـ(فقامت) امرأة و(قالت) فـ(فعجب) من قولها و(قال) مصرحا بخطأ اجتهاده. ولم يتعد كلام المرأة السطرين من متن الخبر. واقل من ذلك المساحة التي يأخذها كلام المرأة من متن خبر آخر ينقله المدائني جاء فيه ((تزوج مروان بن الحكم أم خالد بن يزيد بن معاوية فقال مروان ذات يوم وأراد ان يقصر به في شيء جرى بينهما: يا ابن الرطبة. فقال له خالد: أمين مختبر. واتى خالد أمه فاخبرها الخبر وقال: أنت صنعت هذا بي وانشدها هجاء هُجي به فيها (...) فقالت له: دعه فانه لا يقولها بعد اليوم. فدخل عليها مروان فقال: أخبرك خالد بشيء؟ قالت: يا أمير المؤمنين هو اشد لك تعظيما من ان يذكر شيئا جرى بينك وبينه. فلما أمسى وضعت على وجهه مرفقة (مخدة) وقعدت عليه هي وجواريها حتى مات فأراد عبد الملك قتلها وبلغه رضخ (خبر تسمعه ولا تستيقنه) من فعلها فقالت له: أما انه اشد عليك ان يعلم الناس جميعا ان أباك قتلته امرأة. فكف عنها))[٢٧]. إذ الخبر يرتكز على الأفعال التي تجري بين مروان وخالد وأمه وعبد الملك، وما حصل من

سب مروان خالدا بأمه وإبلاغ الأم وقتلها لمروان ومحاولة عبد الملك ان يقتلها لفعلها بعد ان سمع ولم يتأكد. وتمتد الأحداث على معظم مساحة الخبر، فيما لا يأخذ كلام المرأة في نهاية الخبر أكثر من سطر. ويُلاحظ ان الكلام في هذه الأخبار ثانوي لا يحتل مساحة تُذكر من متن الخبر قياسا بالحدث. وهو –أي الكلام– لا يتعدى الحوار العادي المتبادل بين شخصيتين، إذ هو يأتي في سياق الحوار، لا كما في سياق الأخبار الكلامية حيث يأتي في سياق الخطبة التي يتحدث فيها المتكلم ويعلي صوته، ويعبر عن رأيه أو موقفه، وليس يتكلم سامعه أو يشاركه الرأي أو يحاوره في أمر من الأمور.

ان العنوانات التي يضعها المؤلف لأخباره مصنفا إياها إلى كلام وأخبار ستساعد على تحديد الإجراء المنهجي المناسب لتوصيف البنية السردية للخبر مع التأكيد على ان الكتاب كتاب أخبار. إذ بنيته بنية خبر تتضمن راويا أيا كان موقعه من الأهمية وأيا كانت وظائفه من التحدد. كما تتضمن سندا يؤشر إلى صلة الخبر بالتاريخ واتصاله بالواقعة، ويبعده عن الوهم والخيال. الأمور التي تحدد نوع الخبر. وهو يتضمن حدثا أو واقعة حدثت في وقت من الأوقات في الماضي منسوبة لأشخاص معروفين تاريخيا – ونحن نتحدث عن بلاغات النساء– وتنطوي الواقعة على أفعال تقوم بها الشخصيات كما تنطوي على كلام ينسب إليهم. ويختلف الخبر عن الآخر في المساحة التي يستولي عليها الكلام أو التي يستولي عليها الفعل من متن الخبر. فإذا زادت مساحة الكلام على مساحة الفعل عُنون الخبر بـ"كلام" وإذا زادت مساحة الفعل على الكلام عُنون بـ"أخبار". وإذا ما اتفقنا على ان الكتاب كتاب أخبار تدور حول النساء، فسيكون الإجراء المناسب هو ما نطلق عليه "الوحدة الخبرية".

الوحدة الخبرية

السرد طريقة تتابع الأحداث في المروي أو نظام إيراد الأحداث. ومن يورد الأحداث هو الراوي الذي يضعها في نظام يخدم رؤيته ومواقفه وغاياته من المروي. وهذا النظام من مستوى خارج الخطاب يخضع لمواقف المؤلف من عصره ومن قضاياه ومن مشكلاته الفكرية والثقافية. وينطبق هذا الأمر على نوع الرواية الذي يمتد على مساحات كبيرة تصل إلى مئات الصفحات. وتسودها موضاعات متعددة تتصل بشخصيات متنوعة تقوم بأحداث متشعبة في أماكن وأزمنة مختلفة تعود كلها على رؤية معينة لراو واحد في الغالب[٢٨]، الأمر الذي يمنح الأصوات المتعددة أو حتى الرواة المتعددون وما يتصل بهم من سرد وحدة، ويجعل المحكي كيانا أو عالما متصلا وواحدا تصعب تجزئته إلى أجزاء أو وحدات سردية، مثلما قد يحصل مع الأنواع السردية القديمة كالسيرة التي لا يكاد يجمعها رابط فكري أو روائي واحد وإنما هي تكبر مع الزمن من نواة سردية صغيرة وتتضخم بفعل الرواة المتعددين الذين يستجيبون لحاجات عصرهم ولشروط المروي لهم المتجددة، فيضيفون إلى المحكي ويوسعونه ويدخلون عليه أجزاء جديدة تخدم غايات سياسية وثقافية تنشا مع العصور لنجد في السير أبطالا من عصور متنوعة وأحداثا من مراحل تاريخية مختلفة كما يحدثنا مؤرخو هذا النوع من السرد[٢٩].

ان افتقار السرد في السيرة إلى الاتصال ألجا بعض النقاد أو السرديين إلى ابتكار ما اسماه "الوحدة الحكائية" لمعاينة وتوصيف المتن السردي للسيرة، معرفا الوحدة الحكائية ((بانها: سلسلة الأفعال المتعاقبة التي يقوم بها البطل لإشباع حاجة ما، مادية كانت أو معنوية، وتستدعي حيزا من المكان الذي يقيم فيه، والذهاب إلى مكان خصومه، والدخول معهم في مواجهة، وعودته ظافرا إلى مكانه وقد اشبع الحاجة التي دعته إلى الرحيل))[٣٠].وسينتخب الباحث لكي يقف على بنية الوحدة الحكائية، عددا ((من الوحدات الحكائية المترابطة تكون موضوعا للتحليل، ذلك، ان متون السير الشعبية تتكون من عدد كبير من الوحدات الحكائية المترابطة بشكل متتابع، تكون بمجموعها متون تلك السير))[٣١]. وسيحدد الباحث خمس وحدات حكائية كبرى في السيرة يحل من خلالها المنطق الداخلي للوحدة ويبين العناصر المكونة لها. مع الإشارة إلى ان اللجوء إلى الوحدات الحكائية سيقتصر على السيرة دون المقامة ودون الحكاية الخرافية، لكبر السيرة وتشعب بنيتها وتنوع أخبارها[٣٢].

ولكن الخبر اصغر حجما من السيرة، ولا تكاد ترقى أحداثه إلى الحكاية، وليس يتضمن وحدات حكائية كثيرة أو قليلة، فما فائدة التذكير بالوحدة الحكائية؟ إذا كان الحديث عن السيرة يستدعي الحديث عن الحكاية وعن الوحدة الحكائية، فان الحديث عن الخبر يستدعي مصطلح "الوحدة الخبرية" لان الخبر، وكما ذكرنا، في ابسط مفاهيمه إخبار ينطوي على مجموعة من الأفعال –لا بالمعنى الوظائفي[٣٣]– والأفعال

تشكل الحدث الوحيد غالبا، والصغير الذي يكون متن الخبر، ويشكل ما سيطلح عليه من الآن الوحدة الخبرية. فالوحدة الخبرية، إذن، صيغة الخبر بما تتضمنه من أفعال أو أقوال أو بما يتضمنه من كلام. وتقسم الوحدة الخبرية في كتاب بلاغات النساء على قسمين، أولهما ندعوه الوحدة الخبرية الكلامية، أي الوحدة الخبرية التي يتشكل الخبر فيها من الكلام أو من القول الذي تنطق به الشخصية الأساسية. ويستغرق مساحة كبيرة من متن الخبر، ليتم من خلاله الأخبار عن بلاغة المتكلمة وقدرتها الفائقة على القول. كما في الأخبار التي ذكرت في ما سبق عن عائشة وفاطمة (ع) وغيرهن. وأطلق المؤلف على هذا النمط "كلام" تغليبا للكلام فيه على الخبر.

أما ثاني الوحدات الخبرية في كتاب بلاغات النساء، فندعوها الوحدة الخبرية الفعلية، أي الوحدة التي يتشكل الخبر معها من الأفعال التي تقوم بها شخصية أو أكثر، ويستولي الفعل معها على مساحة اكبر من مساحة الكلام، ليكون الإخبار عن طريق الحدث الذي يظهر بلاغة النساء أو قدرتهن على الفعل بما يفوق قدرة الرجال. كما في الأخبار التي ذكرت عن المرأة التي غلبت الخليفة عمر. وعن أم خالد بن يزيد وقتلها مروان بن الحكم. وغيرها من الأخبار التي عنونها المؤلف بـــ"أخبار" تغليبا للحدث أو الواقعة على الكلام.

سيساعد هذا الإجراء في تحديد نوع الكتاب. فهو أخبار، على الرغم من عنونته ببلاغات النساء، وعلى الرغم من إطلاق مسمى (كلام) على أكثر أخباره، وعلى الرغم من تضمنها لمساحات كلامية كبيرة هي خطب للنساء. وسيساعد أيضا في تذليل صعوبة وصف متن الكتاب وفي الوصول إلى وظائف البنية، على مستوى الخطاب، بعد ان نحدد أشكالها، تلك الوظائف التي تنتهي إلى تأكيد بلاغة القول والفعل الصادرين عن النساء.

الوحدة الخبرية الكلامية

تميل الأخبار التي تتضمن هذا النوع من الوحدات الخبرية إلى الطول، إذ يتوقف الحدث ويعطى الكلام مساحة اكبر من متن الخبر. قد تطول لتصل إلى ثلاث صفحات أو أكثر[٣٤]. وهي مساحة كبيرة قياسا بما يتسم به نوع الخبر من اختصار. وتمتاز الوحدة الكلامية بأمور منها:

١. إنها تقع في الأكثر في سياق الخطبة، إذ تتولى الشخصية الأساسية التي ينسب المؤلف إليها الخبر، الكلام، على مسمع من الشخصيات الأخرى التي تتخذ موقع السامع، وهذا يعني ان السامعين لا يشاركون الشخصية في الحديث، ولا يتبادلون معها الرأي أو يجادلونها، أو هم في آخر الخبر يصمتون ليقروا للشخصية بالغلبة أو بالبلاغة. وستكون الخطبة اما مما يُقال في وقت الكلام

الحاضر من متن الخبر، فالشخصية تجد ما يدعوها للكلام، فتصل إلى مكان ما وتخطب كما في كلام عائشة، أو فاطمة (ع). واما من الكلام الذي كان قد قيل في وقت سابق ويجري الآن استحضاره أو استذكاره في مقام غير المقام الأول. كما في خبر أم الخير بنت الحريش البارقية، ودعاها معاوية فذكرها بموقفها يوم صفين، وقولها هناك وطلب منها ان تعيده فادعت إنها لم تعد تذكره فـ((التفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ قال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد. قال: هاته. قال: نعم كأني بها يا أمير المؤمنين وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية وهي على جمل أرمك وقد أحيط حولها حواء وبيدها سوط منتشر الضفر كالفحل يهدر في شقشقته تقول: يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مبهمة ولا سوداء مدلهمة فإلى أين تريدون رحمكم الله أفرارا من أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف أم رغبة عن الإسلام أم ارتدادا عن الحق، أما سمعتم الله عز وجل يقول: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم. ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشر الرعب وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع إليه الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والوصي الوفي والصديق الأكبر إنها احن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس))[٣٥]. وتأتي الوحدة الخبرية الكلامية في سياق غير سياق الخطبة –في مرات لقل– وسيكون ذلك أما في سياق الكلام الاعتيادي، الذي لا يشترك فيه مع الشخصية الأساسية، طرف آخر، أو في سياق الحوار الذي يدور حول موضوع محدد. ويدور الكلام الاعتيادي في طلب حاجة إذ تدخل الشخصية الأساسية مكانا ما وتتفوه على مسمع شخصيات بكلام بليغ فتسألهم إعانتها بالمال أو سد جوعها، فقد ((وقفت امرأة من الاعراب من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكرة فقالت: أصلحك الله أقبلت من ارض شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني خافضة بملحات من البلاد وملمات من الدهور برين عظمي واذهبن لحمي وتركنني والها وأنزلنني إلى الحضيض وقد ضاق بي البلد العريض لا عشيرة تحميني ولا حميم يكنفني فسالت في أحياء العرب من المرجو سيبه المأمون غيبه المكفي سائله الكريمة شمائله المأمول نائله فأرشدت إليك وأنا امرأة من هوازن مات الوافد وغاب الرافد ومثلك من سد الخلة وفك الغلة فاصنع إحدى ثلاث أما ان تقيم من أودي أو تحسن صفدي أو تردني إلى بلدي))[٣٦]. كما يدور الكلام الاعتيادي حول القيم التي ينبغي ان يتحلى بها الشخص والجماعة، ويأتي هذا الكلام في صيغة وصية، إذ توصي امرأة ابنا لها أراد

سفرا في احد الأخبار فتقول: ((أي بني أوصيك بتقوى الله فان قليله أجدى عليك من كثير عقلك وإياك والنمائم فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ومثل لنفسك مثال ما تستحسن لغيرك ثم اتخذه إماما وما تستقبحه من غيرك فاجتنبه، وإياك التعرض للعيوب فتصير نفسك غرضا وخليق ان لا يلبث الغرض على كثرة السهام، وإياك والبخل بمالك والجود بدينك))[٣٧]. أما عن الكلام الذي يدور حول موضوع محدد ويدور بين أكثر من شخصية فذلك الذي يظهر في الأخبار التي تتحدث مثلا عن الزوج الجيد. وتتجاذب أطرافه أكثر من امرأة قد يصلن إلى أربع أو خمس، وهو يشبه الحوار، لأنه لا يقوم على تبادل الفكرة أو الرأي أو الواقعة، وإنما يعتمد على ما يشبه المقارعة الكلامية التي تظهر قدرة الأطراف على صوغ القيمة أو الفكرة ذاتها صياغات متنوعة بليغة يصعب ان يفضل احدها على الأخر. ويظهر هذا الأمر فيما روي عن ملكة سبأ ((وكانت لا تريد الأزواج فقلن لها نسوة كن يكن معها ألا تتزوجين أصلحك الله؟ قالت: ويحكن وما التزويج؟ قلن لها: ان فيه من اللذة ما ليس في شيء من الأشياء، قالت: فلتصف لي كل امرأة منكن زوجها فان كان يدعو إلى اللذة فبالحري افعل، قلن: نحن نصف لك أزواجنا، قالت: فصفن لي، فقالت الأولى: هو عز في الشدائد وفي الرخاء مساعد وان رجعت ألطف وان غضبت تعطف، قالت: نعم الشيء هذا. قالت الثانية: هو لما عندي كاف ولما شفتي شاف رشفه كالشهد وعناقه كالخلد لا يمل لطول العهد، قالت: هذا والله الذي لا عدل له. قالت الثالثة: هو شعاري حين اصرد وسكني حين ارقد ومنى نفسي لشبق يتردد. قالت: سبحان الله هذا والله الذي لا يعدله شيء وكلكن قد أحسن الصفة فان كان كما زعمتن أكرمتكن وأحسنت إليكن وإلا عذبتكن واسات إليكن فتزوجت بابن عم لها يقال له شداد بن زرعة فاحتجبت عن الناس شهرا ثم خرجت فجلست في مجلسها الذي كانت تجلس فيه فجئن النسوة إليها فسألنها عن خبرها فقالت: نعيم لا يوصف ولذة لا تنقطع))[٣٨].

٢. ستكون عناية الخبر بـــ"الكلام" الذي تقوله الشخصية، فالحدث ثانوي يأتي ممهدا يوصل إلى الكلام ويحدد سببه. فلماذا تكلمت عائشة؟ لان أناسا عابوا أباها[٣٩]. ولماذا تكلمت فاطمة (ع)؟ لأنه بلغها ان أبا بكر منعها فدك[٤٠]. ولماذا تكلمت آمنة بنت الشريد؟ لان معاوية قتل زوجها وأرسل إليها من يسمع قولها وقت إلقاء رأسه في حجرها، وإذ هي ذمته دعاها ليوبخها، وإذ فعل ذمته، ولما تدخل أصحابه ذمتهم بكلام شديد بليغ[٤١]. كما يحدد الحدث المكان أو المسرح كأن يكون مجلس معاوية أو البصرة حيث معركة الجمل، أو بيت أبي بكر أو غير ذلك. ويحدد الحدث الشخصيات الثانوية التي تدفع الشخصيات الأساسية "النساء" إلى الكلام، أو يحدد الشخصيات التي تسمع الكلام. ويكون الحدث أحيانا مكملا للخبر إذا جاء تاليا للكلام، ومبينا لأثر الكلام. ففي خبر آمنة بنت الشريد، تذهب من عند معاوية بعد ان تسمعه وتسمع صحبه كلاما قاسيا، وتموت بالطاعون، فيبلغ

النبأ معاوية ويقول لصاحبه الذي كان أذاه كلام آمنة: ((ان موتها لم يكن على احد أروح منه عليك ولعمري ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوبا وبيلا فقال الاسلع ما أصابني من حرارة لسانها شيء إلا وقد أصابك مثله أو اشد منه))[١٢].

٣. وإذا كان الكلام أساسيا في هذه الأخبار فذلك لأنه بليغ أي لأنه يتمتع بمزايا الكلام الجيد من سلامة لفظ وجودة تركيب، سواء كان التركيب نحويا أم بلاغيا. فضلا عن المحسنات اللفظية، وما يترتب عليها من موسيقى، سواء كانت تأتي من الموازنة أم من التكرار أم من السجع أم من الوزن. وستجعل هذه الأمور الكلام يدخل في الجد سواء كان معناه نبيلا، أم سخيفا، كما سنبين في وظائف الوحدة الخبرية الكلامية.

وظائف الوحدة الخبرية الكلامية:

ما فائدة الكلام في الخبر؟ لقد انتخب المؤلف من أخبار النساء ما يتضمن كلاما طويلا تقوله الشخصية، ويشكل متن الخبر. وما أسميناه وحدة خبرية كلامية أي وحدة تخبر بالكلام عن شيء، وتؤدي وظائف ما. فما وظائف الوحدة الخبرية الكلامية؟ تتمثل الوظائف بالصورة التي يجيء بها الخبر، وتبعا لذلك نحدد الوظائف الآتية:

الوظيفة السياسية:

شهدت الأمة الإسلامية في بدايتها أحداثا غير متوقعة تلت وفاة النبي (ص) بداية بمسالة الأحقية للخلافة مرورا بقتل الخليفتين عمر وعثمان والصراع بين الإمام علي (ع) ومعاوية وما أسفر عنه من قتل الإمام وتفرد معاوية بالخلافة وتحويلها إلى ملك عضوض، كما يقول المؤرخون، يتوارثه الابن عن الأب. وانتهاء بتولي يزيد بن معاوية ومقتل الحسين (ع). ولعل هذه الأحداث بما فيها من جدل كثير تنوع بتنوع الخصوم. وبما فيها من كلام لم تخف وتيرته إلى عصر المؤلف، أي القرن الثالث الهجري. ولعلها كانت مادة تثري الأخبار وتمدها بأحداث ومواقف وآراء جديدة لا تنفد. ولذا كان جزء كبير من أخبار كتاب بلاغات النساء مخصص للموضوعات السياسية التي تدور حول مواقف الناس من الخلفاء الراشدين ودفاع ابنتيهما عنهما. وحول المعارك كالجمل وموقف عائشة مشجعة على قتال الإمام علي مطالبة بدم عثمان، وندمها على موقفها ذاك فيما بعد كما في خبر يروي عنها ندمها على يوم الجمل وهي تحتضر[١٣]. وبين هذا وذاك لوم الناس لها ومنهم أم سلمة على عدم التزامها وصية النبي (ص) لأزواجه بعدم الخروج و((الفرطة في البلاد))[١٤]. وكصفين التي دارت بين الإمام علي

ومعاوية، وما قيل فيهما بعد زمن إذ يدعو معاوية أنصار الإمام من النساء فيسألهن عن رأيهن فيه، وفي الإمام وعما قلنه وقت المعارك من كلام حاثات الرجال على القتال. وتعمل الوحدة الخبرية الكلامية في هذه الأخبار على نقل المواقف السياسية المتباينة وتحديد أبعادها. مثلما تقوم بالدفاع عما تراه طرفا يستأهل الدفاع كالإمام علي. إذ لم يُذكر أي خبر يبين موقف معاوية ويدافع عنه، وبذا ينتقل الخبر من التاريخ إلى الأدب، فيكون مفيدا في الحاضر، أي في القرن الثالث الهجري، الذي لم تعد الدولة الأموية قائمة فيه، ومفيدا في تأكيد قيمة الحق التي تنتصر أدبيا رغم انكسارها تاريخيا.

الوظيفة التعليمية:

لم تكن الوظيفة السياسية لتخلو من عرض للقيم وحث عليها ولكن عرضا ضمنيا وليس معلنا كما سنرى في الأخبار التي تتشكل فيها الوحدة الخبرية الكلامية من كلام لا يدخل في نوع الخطبة. أو لنسمه كلاما غير خطابي. وتنقسم الوظيفة التعليمية على تعليم القيم الحسنة ونشرها وتعليم اللغة والغريب.

أولا: تعليم القيم الحسنة والحث عليها:

وينقسم الحث على القيم على قسمين:

الأول: الحث على القيم مجردة أي كما هي دون تجسيم أو تمثيل. ويظهر هذا الحث في نمطين هما: السؤال أو طلب الحاجة، والوصية. ففي السؤال تسال الشخصية الأساسية بكلام بليغ شخصية أخرى ان تنعم عليها بما يسد حاجتها إلى الطعام أو المال، مذكرة بان الجود وإغاثة المحتاج قيم جيدة ينبغي ان تسود. كما يظهر الحث على القيم مجردة في الوصايا وسبق ان ذكرنا مثالا لها.

الثاني: الحث على القيم ممثلة في شخصيات و قبائل. وتظهر من خلال مدح أولئك الأشخاص أو تلك القبائل أو ذمهم للتأكيد على القيم والترغيب فيها في الحالة الأولى، الترغيب عنها في الحالة الثانية. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في خبر جروة بنت مالك التي استدعاها معاوية لما ارق لتخبره عن قومها فـ ((قالت: عن أي قومي تسألني؟ قال: عن بني تميم. قالت: يا أمير المؤمنين هم أكثر الناس عددا وأوسعهم بلدا وأبعدهم أمدا هم الذهب الأحمر والحسب الأفخر. قال: صدقت فنزليهم لي. قالت: يا أمير المؤمنين أما بنو عمرو بن تميم فأصحاب باس ونجدة وتحاشد وشدة لا يتخاذلون عند اللقاء ولا يطمع فيهم الأعداء سلمهم فيهم وعلى عدوهم سيفهم... واما بنو سعد بن زيد مناة ففي العدد الأكثرون وفي النسب الاطيبون..))[٤٥]. ومن الأمثلة الأخرى ما جاء عن نساء يتذاكرن الأزواج في خبر ((فقالت إحداهن: الزوج عز في الشدائد وفي الرخاء مساعد، ان رضيت عطف وان سخطت تعطف،

وقالت الأخرى: الزوج لما عناني كاف ولما شفني شاف رشفه كالشهد وعناقه كالخلد لا يمل عن قرب ولا بعد. وقالت الأخرى: الزوج شعار حين اصرد يسكن حين ارقد ومنى لذتي شف مفرد وما عاد إلا كان العود احمد. وقالت الأخرى: الزوج نعيم لا يوصف ولذة لا تقطع ولا تخلف))[٤٦]. ولعل الأول يؤكد على القيم التي ترفع القبيلة وتشهر ذكرها عند العامة وعند الخلفاء. فيما يعطي الخبر الثاني نماذج من الأزواج الذين ينبغي ان يكثروا لما فيهم من قيم الرجولة وشيمها. أما النوع الثاني من أنواع إظهار القيم فيأتي من ذكر نماذج سيئة مرغوب عنها لما فيها من مساوئ. ويظهر هذا الأمر في الخبر الذي يرويه الأصمعي عن ((شيخ من بني سعد باليمامة ذا مال فجمع بين أربع نسوة وكان ثقلا مفركا ففركنه جمع وأصلح بينهن بغضه فرصدهن ذات ليلة وهن يتحدثن ويذكرنه فقالت إحداهن: قلن جميعا في فنون عيبه وغيبه ولا مأثم في غيبه. قالت الثانية: أقمر عيني ببياض شيبه وشف جسمي طول شم جيبه. وقالت الثالثة: اللؤم والخيبة حشو ثوبه فبي فحل الموت صبحا أو به. فقالت الرابعة: يا ليت ما ينالني من سيبه تطليقة تخرج من قليبه. فأصبح فطلقهن جميعا))[٤٧].

ثانيا: تعليم اللغة والغريب:

ولعل هذه وظيفة أساسية من وظائف المتون الخبرية التي يغلب عليها الكلام إذ أصبح الخبر متنا يُستدعى في مجالس العلم ليتعلم الطلاب غريب اللغة الذي لم يعد مستعملا لصعوبة صياغته ولغرابة ألفاظه ووحشيتها، مع الفائدة والمتعة التي يتضمنها المتن المحشو لغة وغريبا. وتبعا للفائدة أو للمتعة أو لهما معا تنقسم المتون الخبرية التي تعلم على قسمين، أولهما يحمل مضمونا يدخل ضمن الجد. وآخر يحمل مضمونا يدخل ضمن الهزل. فمن الأول الخبر الذي وصفت فيه جمعة وهند بنتا الخس الإبل وقد سال القلمس ((أي الإبل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب كل قراسية دوسر ملاحك الخلق عشنزر ململم مثل ملمومة المرمر ذي شقشقة مفرفر مصعب اللون مدلى المشفر. قال القلمس: كيف تسمعين يا هند؟ فقالت: أحب كل ذي كاهل رفيع ملزز الخلق جميع محتمل ضليع يقل الرغاء ويعتسف البيداء وينهض بالأعباء..))[٤٨]. أما من المتون التي تحمل مضمونا يُصنف ضمن الهزل فخبر ((امرأة يقال لها أم الورد تزوجت برجل فعجز عنها فتقدمت إلى والي اليمامة فقالت له: لا يمسكني بضم ولا بتقبيل ولا بشم... قال: ففرق بينهما. ثم تزوجت رجلا آخر فرضيت وحظيت وزوجت أخاها أخت زوجها فعجز عنها فقالت تهجو أخاها: يا عمرو لو كنت فتا كريما، أو كنت ممن يمنع الحريما، أو كان رمح استك مستقيما، (نـــ...) به جارية هضيما (نـــ...) أخوها أختك الغليما بذي خطوط يغلق المشيما إذا احفت نومها الاريما واحتدرت من ظهره العتيما سمعت من أصواتها نئيما))[٤٩]. وهو تعليمي لأنه منقول بلغة تلتزم سلامة الصياغة مع الإيقاع الذي يقوم على التوازن والسجع، ويلتزم اللغة الغريبة،

كما في خبر المرأة توصي ابنتها، فتقول لها: ((لا تنـــكحي شيخا إذا بال ضرط املئي تحت حصيه شمط رخو الدلاة عاجزا إذا افترط، والتمسي امردا يستاف الغلط لمثله تتخذ الخود النقط إذا تدانى ساعة ثم امعط يجبذ جبذ البعير نفسه إذا انحط))[٥٠].

وفي ما يأتي مخطط للعلاقة بين أنماط الوحدة الخبرية الكلامية ووظائفها في الخبر:

الكلام	التمثيل	الصيغة	الوظيفة		
خطابي	حاضر	خطبة	سياسية		
	مُستذكَر				
غير خطابي	ينطق به شخص واحد	سؤال	الحث على القيم مجردة	تعليمية	
		وصية			
	ينطق به اكثر من شخص	مدح	الحث على القيم مجسدة		
		ذم			
		وصف	تعليم اللغة والغريب		

الوحدة الخبرية الفعلية

تميل الأخبار التي تسيطر على متنها الوحدة الخبرية الفعلية إلى القص. إذ تُذكر الأفعال متعاقبة تختصر أزمانا طويلة أو قصيرة دون أية إشارة لذلك الاختصار كما في خبر نقله المدائني جاء فيه: ((كان تميم الداري يبيع العطر في الجاهلية وكان من لخم فخطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليته فماكسهم في المهر فلم يزوجوه، فلما جاء الإسلام جاء بعطر يبيعه فساومته أسماء فماكسها فقالت له: طالما ضرك مكاسك، فلما عرفها استحيا وسامحها في بيعه))[٥١]. فالخبر يبدأ بصيغة (كان) التي ترجع الحدث إلى ماض بعيد هو الجاهلية، كما في متن الخبر. وتأتي بعد هذه الصيغة أفعال متتالية: (يبيع) و(خطب) و(ماكس) و(لم يزوجوه). ثم ينتقل الخبر إلى وقت قريب هو الإسلام وتأتي بعده الأفعال: (جاء) و(يبيع) و(ماكســـته –أي أسماء– و(ماكســـها –أي تميم. لتأتي جملة واحدة توبيخية تلمح

إلى الواقعة القديمة، واقعة مماكسة تميم أهل أسماء في مهرها ورفضهم تزويجها له، ليأتي بعد الجملة ثلاثة أفعال متتالية تكمل الخبر هي: (عرف) و(استحيا) و(سامح).

ويحسن ان ندون الملاحظات الآتية على الأخبار التي يتشكل متنها من وحدة خبرية فعلية، أو التي توظف الأفعال للإخبار أو لاداء المعنى والدلالة. ومن تلك الملاحظات:

١. تمتاز الأخبار –القائمة على الوحدة الخبرية الفعلية– بالقصر النسبي، فهي لا تتجاوز الأسطر، وقل ان تزيد على الصفحة الواحدة، في الأكثر.

٢. يتقدم الحدث المكون من أفعال متلاحقة ليحتل المكانة الأولى، فهو من يشكل متن الخبر فيما يتراجع الكلام إلى المرتبة الثانية، لأنه لن يكون أكثر من حوار يدور بين شخصيات الخبر، ليبين امراً أو يكشف رغبة أو يوضح معنى أو يجيب عن سؤال وبعبارات مختصرة قليلة. ولما كان الكلام ثانويا في هذا النمط من الأخبار فانه في الأكثر يأتي بلغة خالية من رسوم البلاغة، وقيود البديع، وتعمد الإيقاع، والسجع. ونذكر بالجملة التي نطقتها أسماء بنت أبي بكر وهي الشخصية الأساسية في خبر تميم الداري. ولم تكن أكثر من جملة واحدة لغتها مباشرة. ومثل هذا الأمر نجده في أخبار أخرى كثيرة نختار منها خبرين قصيرين أولهما: ((خطب عبد الملك بن مروان رملة بنت الزبير بن العوام فردته وقالت لرسوله: إني لا امن نفسي على من قتل أخي))[٥٢]. وليس كلام المرأة إلا جملة خبرية مباشرة تبين سبب رفض الزواج من الخليفة. وثاني الخبرين: ((أتى عبيد بن زياد بامرأة من الخوارج فقطع رجلها وقال لها: كيف ترين؟ فقالت: ان في الفكر في هول المطلع لشغلا عن حديثكم هذه. ثم قطع رجلها الأخرى وجذبها فوضعت يدها على فرجها فقال: لتسترينه؟ فقالت: لكن سمية أمك لم تكن تستره))[٥٣]. وهي جملة خبرية أيضا مختصرة ليس فيها إلا التعريض بأم الأمير.

٣. تقل الصيغ والأنماط في متون الأخبار التي تسيطر عليها الوحدة الخبرية الفعلية. ولعلها تكاد تتشابه فلا تظهر إلا في صيغة واحدة هي صيغة الأفعال المتتالية التي تختصر الزمن بدون إشارة إلى ذلك، ولا تكاد تذكر المكان، وقد يتضمنها كلام الشخصية الأساسية وحده. أو كلامها وكلام شخصيات أخرى. ويتصل بقلة كلام الشخصيات أو قلة تصريحها، انفتاح الخبر على أكثر من دلالة، وأكثر من مستوى تلق وقراءة اتفقنا على ان نبعد من بحثنا هذا ما يتصل منه بالنص، وبالثقافي، وعلى ان نبقي ما يتصل بالخطاب، خطاب الخبر ضمن موضوع الكتاب، الذي هو النساء. وإذا كان الكلام في الأخبار التي تعتمد على الوحدة الخبرية الكلامية يجعل الخبر مصنفا في خانة الجد، ويجعل دلالته تعود على غير المرأة، أو على الرجل في الغالب، وتجعله يوظف في

السياسة والتعليم، تعليم القيم واللغة.. فان الأحداث في الأخبار التي تعتمد على الوحدة الخبرية الفعلية تجعل الخبر مصنفا في خانة الهزل أو النادرة أو السخف. وتجعل دلالته تتصل بالمرأة ذاتها في سياق الخطاب كما ذكرنا –لا في سياق النص أو الثقافي إذ هنا تعود الأحداث ثانية إلى الرجل بوصفة ذكرا ومتفوقا- كما تجعل فائدته أو وظائفه تعود إليها وتجعلها متعددة يصعب حصرها. ولعل من أهم وظائف الوحدة الخبرية الفعلية ما يأتي:

أ. بيان قدرة النساء على الإجابة والرد، كما في خبر رقاش بنت عمرو. وقد ((كانت... عند كعب بن مالك بن نيم الله بن ثعلبة فقال لها يوما: اخلعي درعك. قالت: خلع الدرع بيد الزوج. قال: اخلعيه لأنظر إليك. قالت: التجرد لغير نكاح مثلة))[٥٤].

ب. بيان تدبير النساء وذكائهن، كما في هذا الخبر. فـ ((لما كبر يزيد ومروان ابنا عبد الملك من عاتكة بنت يزيد بن معاوية قال لها عبد الملك: ان ابنيك قد بلغا فلو أشهدت لهما بميراثك من أبيك كانت لهما فضيلة على سائر إخوتهما. فقالت اجمع لي شهودا من موالي ومواليك. قال: فجمعهم وادخل معهم روح بن زنباع الجذامي وكانت بنو أمية تدخله على نسائها مداخل مشائخها وأهلها وقال له: رغبها فيما صنعت وحسنه لها واخبرها برضائي عنها. فدخل عليها فتكلم ثم قال ما قاله عبد الملك فقالت: يا روح أتراني اخشى على ابني العيلة وهما ابنا أمير المؤمنين، أشهدتك أني تصدقت بمالي على فقراء آل بني سفيان. قال: فخرج القوم واقبل روح يجر رجليه، فلما نظر عبد الملك قال: أما أنا فاشهد انك قد أقبلت بغير الوجه الذي أدبرت فيه، قال: يا أمير المؤمنين إني تركت معاوية بن أبي سفيان في الديوان جالسا واخبره الخبر، فغضب عليها عبد الملك وتوعدها فقال له روح: مهلا يا أمير المؤمنين فوالله لهذا الفعل في ابنيها خير لك من مالها، فكف عنها))[٥٥].

ت. بيان مكر النساء ودهائهن. وهذا يكون في باب التدبير السيئ، الذي يتصل بشهوة النساء ورغباتهن الجنسية، كذلك الذي يظهر في خبر يزيد المقرط وقد واعد الذلفاء ان يصير إليها في سواد الليل فلما تأكدت من حضوره أخفته عندها ((ثم صاحت صيحة منكرة، فوثب أبوها وأخوها فقالوا: ما لك؟ قالت: شيء ما ضربني في يدي فاقبلوا يعوذونها ويرقونها وهي تصيح وشيخ من ناحية الماء... أتاها فرقاها في الماء ثم قال لهم: اسقوها اياه فشربت فلم تهدأ أنتها فقال: لقد رقيتها برقية العقرب وما أظن الذي ضربها إلا عقربا، فافترقوا عنها وقال لها أخوها: اصبري يا اخية صبرك الله))[٥٦]. فلما تفرقوا أخرجت يزيد بن المقرط من مكانه ((وكانت بكرا فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة

ودفع صاحت فجعل أخوها يقول: اصبري يا اخية أجمل بك وأكرم لك فلم تزل على حالها))[٥٧].

ث. بيان حسن رأي النساء وحسن مشورتهن. فقد جاء هشام بن عبد الملك مال من ضياع ففضل فقسمه في أهله وولده وبقيت منه عشرون ومئة ألف فدعا امرأته عبدة بنت يحيى بن الحكم فقال من أحق الناس بهذا المال؟ فـ((قالت: أحقهم به من جاد لك بما بخلت به على نفسك. قال: صدقت فبعث المال إلى الابرش))[٥٨] الكلبي الذي اشترى لهشام جارية وبعثها إليه وكانت أعجبته فأعطى مولاها فيها عشرة آلاف درهم فأبى وخرج بها، وتبعتها نفس هشام.

ج. بيان شدة النساء، وقوتهن وتدينهن وما يتصل بهذا من قيم كما في خبر أسماء بنت أبي بكر وموقفها من ابنها عبد الله بن الزبير، لما انفض عنه أكثر رجاله، ولم يبق معه إلا اليسير، فهي تقول له: ((ان كنت على حق تدعو إليه فامض عليه فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن غلمان بني أمية فيتلعبوا بك، وان قلت إني كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي ليس هذا فعل الأحرار... لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بسوط في ذل))[٥٩].

ح. بيان ضعف النساء، وتغلب الشهوة عليهن، وإنهن لسن أهلا للثقة، ولا محلا للاطمئنان. فقد تراهن رجلان زعم احدهما ان جاريته الراعية أمينة وعفيفة، وزعم ثانيهما انه سيظهر له من أمرها خلاف ما يدعيه، أليست هي من النساء! واشهد عليه قوما كثيرين وقال لهم: اشرفوا على رأس هذا الجبل ومولاها معهم ((وحفر لنفسه مثل القبر إلا ان فيه موضعا يتجافى عن نفسه... ثم سفا عليه التراب حتى توارى كله غير (أيـــ...)ـــه))[٦٠]. وكان طريق الراعية لا يمر إلا بهذا الموضع فلما مرت بغنمها ونظرت إليه ((ثم اكبت على (الايـــ...) تحفره إلى أصله ثم جلست عليه تهزه وتقول لغنمها: أي الله يرعاك ويرعى راعيك ومولاها والناس الذين معه يرونها ويسمعون كل شيء تتكلم به))[٦١].

خ. الإمتاع والإثارة التي تأتي من حديث النساء عن رغباتهن وعن قوة شهواتهن ومنهن حبى المدنية المعروفة بهذا النوع من الحديث. فهي في احد الأخبار تحدث فتيات قريش عن قتلها نفساء ولما سألنها: كيف؟ ((قالت: خرجت يوما من الحمام فجلست في المسلخ اتوضا ومعي بني لابنة لي ومعه جرو له فأتاني فدخل تحتي فلما راى حمرة شفري وحري لطعه

بلسانه لطعة فاستلذنته فزاد فلم أزل أدنو منه وأمكنه حتى أدركني ما يدرك بنات ادم فخررت عليه فما رفعت عنه إلا وهو ميت))[١٢].

خلاصة

- ان من أهم سمات الخبر النوعية: ثبات الصيغة، والصلة الحاضرة بالتاريخ أو التي يُحرص على حضورها في الخبر، والاتصال بالحادث والواقعي، وهي سمة موجودة في كتاب بلاغات النساء
- وقد حددت هذه السمات ملامح الدراسة البنية السردية. إذ يتقلص دور الراوي الذي لا يتدخل في المروي وفي متن الخبر ولا يؤثر فيه، ولا يستغله لإظهار وجهة نظره أو مواقفه وإنما يُوظف لنقل الخبر خارج سلسلة السند، ويُوظف ليوثقه في داخله.
- ينقسم متن الخبر في بلاغات النساء إلى كلامي وحدثي، وللتعامل مع هذا الأمر لجأ البحث إلى مفهوم الوحدة الخبرية التي تعرف بانها وحدة إبلاغ أو إخبار تعتمد على الكلام أو الحدث في نقل المعنى والوصول إلى الغاية. وبحسب الاعتماد على احدهما صار هناك وحدة خبرية كلامية ووحدة خبرية فعلية. ولكل وحدة أثرها في شكل الخبر. كما ان لكل وحدة وظائفها المختلفة عن وظائف الثانية اختلافا كليا. فبينما تتحدد وظائف الوحدة الخبرية الكلامية وتقتصر على وظيفتي إبداء الرأي السياسي، أو الوظيفة السياسية، والتعليم، أو الوظيفة التعليمية. تنوعت وظائف الوحدة الخبرية الفعلية في الأخبار التي يعتمد متن الخبر عليها، فوصلت إلى سبع وظائف. ولعل هذا يتصل بغياب الكلام أو غياب التصريح، الذي يفتح الباب أمام القراءة وأمام تعدد المعاني والدلالات التي يريد الخبر إبلاغها.

الهوامش:

١. ينظر: الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١/١٩٩٧، ١٩١.

٢. عنوان الكتاب موضوع البحث: بلاغات النساء، تأليف: الإمام أبي الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور، قم، ط٢. وقد ولد المؤلف سنة ٢٠٤هـ في بغداد. وذكر له ابن النديم خمسين كتابا، من أهمها تاريخ بغداد، والمنثور والمنظوم، وهو كتاب اختيارات. وتوفي ابن طيفور ببغداد سنة ٢٨٠هـ.

٣. الكلام والخبر (مذكور)،٤٩.

٤. السردية العربية "بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي"، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، ط١/١٩٩٢، ١٤٣.

٥. الكلام والخبر (مذكور)، ٢٢.

٦. الفن القصصي في التراث العربي، د. احمد كمال زكي، الآداب ١٩٨٩، ع٧-٨، س٣٧، ٤٦.

٧. انظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط٢/١٩٩٣، ٢٣ وما بعدها.

٨. يشترك الراوي في بعض أخبار بلاغات النساء، كما في الأخبار التي يرويها ابان بن تغلب في ٦٢و٧٦و٧٨ ويذكر انها وقعت له وشاهدها أو تدخل فيها.

٩. ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، ضبطها: محمد محمود الرافعي، المكتبة المحمودية بمصر، ط٢. إذ يظهر الراوي –عيسى بن هشام– مشاركا في المقامة الاسدية صفحة ٣٥. ويظهر مشاهدا في المقامة المكفوفية صفحة ٨٩.

١٠. فن الخبر في تراثنا القصصي، شكري محمد عياد، فصول، مج ٢، ع٤، س ١٩٨٩، ١٢.

١١. ينظر: بحث بعنوان "تحليل إنشائي للمقامة الحلوانية للهمذاني" للطيب بن عمار، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية-تونس، ع٣٦/٣٧، ١٩٨٥. وفيه يربط بين السند والواقع والخبر. ص٤٣.

١٢. ينظر: بحث بعنوان "جدلية الأدب والذهب. المقامة المضيرية" لتوفيق بكار، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية-تونس، ع٦١، س١٩٩١. ويرى فيه الباحث ان تحول الراوي إلى

المروي في المقامة أسهم في قلب "وظيفته من تحقيق إلى تمويه... كما انقلبت مادة متنه من إخبار إلى إنشاء" ص٨.

١٣. ينظر: النقد الثقافي، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط٢/٢٠٠١. وهو يشير إلى الأبعاد النصية لخبر يرد في كتاب البيان والتبيين.

١٤. الكلام والخبر (مذكور)، ١٩١.

١٥. السابق، ١٩٥.

١٦. السابق، ١٩٠.

١٧. ينظر: السابق، ص ١٩٩-٢٠٠ إذ يقسم سعيد يقطين الخبر على ثلاثة أنماط تبعا لعلاقة الخبر بالتجربة فإذا كان الخبر يساوي التجربة فنحن بصدد الأليف واليومي. وإذا كان الخبر اصغر من التجربة فنحن أمام عوالم جديدة تتميز بغرابتها عما هو أليف وتنزاح عما هو متداول ويومي. وإذا كان الخبر يفوق التجربة فيتم خلق عوالم جديد تقوم على اختراع أشياء جديدة لا حقيقة لها. وبذلك تتشكل الأنماط الأساسية الثلاثة للخبر: الأليف (الواقعي)، والغريب (التخييلي)، والعجيب (التخيلي).

١٨. نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت-لبنان، ط١/١٩٨٢، ١٨٠.

١٩. بلاغات النساء (مذكور)، ٧.

٢٠. السابق، ١٠.

٢١. السابق، ٢٤.

٢٢. السابق، ٢٥.

٢٣. السابق، ٢٦.

٢٤. السابق.

٢٥. السابق.

٢٦. السابق، ١٧٧.

٢٧. السابق، ١٧٩.

٢٨. في حالة الرواية متعددة الأصوات يختلف الأمر إذ تتنوع الأصوات وتتنوع زوايا النظر، ويختلف السرد اختلافا واضحا وان كان مقصودا، يتصل براو ضمني مفارق لمرويه، يكون اقرب إلى المؤلف الحقيقي المثبت اسمه على غلاف الكتاب الذي يتخيل الرواة المتعددين داخل العالم الروائي، وأصواتهم، وينسب إليهم تنظيم المحكي تنظيما مختلفا من زوايا متعددة.

٢٩. ينظر: السردية العربية (مذكور). ١٤٨.

٣٠. السردية العربية (مذكور)، ١٥٠.

٣١. السابق.

٣٢. السابق، ١٥٠-١٥١.

٣٣. مصطلح الفعل يستعمل في المنهج الوظائفي ليدل على الوظيفة. وهي تشير إلى الثابت في الحكاية، والعام الذي يحضر في أية حكاية مهما اختلف شكلها. وقد استبعدت هذا النهج في دراسة "بلاغات النساء". وإنما أريد بالفعل الحركة التي تقوم بها الشخصية لتدفع الحدث إلى الأمام. وهو يظهر صريح الصيغة في الخبر. ومن مجموع الأفعال يتكون الحدث في الخبر.

٣٤. انظر الأخبار: كلام اروى بنت الحارث، ٤٣-٤٧. وكلام ام الخير، ٥٥-٥٩.

٣٥. بلاغات النساء (مذكور)، ٥٦-٥٧.

٣٦. السابق، ٦٣.

٣٧. السابق، ٦٨.

٣٨. السابق، ١٢٨-١٢٩.

٣٩. السابق، ٧.

٤٠. السابق، ٢٣.

٤١. السابق، ٨٧.

٤٢. السابق، ٨٩.

٤٣. السابق، ١٧.

٤٤. السابق، ١٦.

٤٥. السابق، ١٠٧-١٠٨.

٤٦. السابق، ١٢٤.

٤٧. السابق، ١٥٠. والنغل: متغير الريح. وفركنه: ابغضنه.

٤٨. السابق، ٨٠. القراسية والدوسر أي الضخم والشديد من الإبل. والملاحك: الجمل الشديد الخلق. والعشنزر: الشديد العظيم من كل شئ. والمفرفر: من فرفر البعير إذا نفض جسده وأسرع وخف. والمشفر للبعير كالشفة للإنسان.

٤٩. السابق، ١٥٧.

٥٠. السابق، ١٦٥.

٥١. السابق، ١٧٨.

٥٢. السابق، ١٨٠.

٥٣. السابق، ١٨٥.

٥٤. السابق، ١٧٨.

٥٥. السابق، ١٧٩-١٨٠.

٥٦. السابق، ٢١١.

٥٧. السابق.

٥٨. السابق، ١٨٢-١٨٣.

٥٩. السابق، ١٨٠-١٨١.

٦٠. السابق، ٢٣٠.

٦١. السابق، ٢٣١.

٦٢. السابق، ٢١٥.

المصادر والمراجع

- بلاغات النساء، الإمام أبي الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور، قم، ط٢.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط١٩٩٣/٢،
- تحليل إنشائي للمقامة الحلوانية للهمذاني، الطيب بن عمار، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية-تونس، ع٣٦/٣٧، ١٩٨٥.
- جدلية الأدب والذهب. المقامة المضيرية، توفيق بكار، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية-تونس، ع٦١، س١٩٩١
- السردية العربية "بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي"، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، ط١٩٩٢/١.
- فن الخبر في تراثنا القصصي، شكري محمد عياد، فصول، مج ٢، ع٤، س ١٩٨٩.
- الفن القصصي في التراث العربي، د. احمد كمال زكي، الآداب ١٩٨٩، ع٧-٨، س٣٧.
- الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١٩٩٧/١.
- مقامات بديع الزمان الهمذاني، ضبطها: محمد محمود الرافعي، المكتبة المحمودية بمصر، ط٢.
- نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت-لبنان، ط١٩٨٢/١.
- النقد الثقافي، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط٢٠٠١/٢.

Abstract :

The Narratological Structure of Stating in *Balaghat Al-Nisa'*

The main properties of stating are:
1-The stability of form
2- The connection with history.
3- The connection with the incident which is a property found in Balaghat Al-Nisa'

These properties have determined the structure of narratology. The role of the narrator is to express his own point of view or attitude. He is employed to convey a piece of information.

Stating in *Balaghat Al-Nisa'* is divided into two parts: verbal and incidental. To deal with this subject matter, the researcher resorts to the concept of stating unit which is a unit of telling or stating. It depends on speech or incidents in conveying the meaning to arrive at the end. Depending on any one of them will create a stating unit which has its effect on conveying a statement. Each one has its own different functions. The verbal unit for example has the function on stating political opinion, political job, teaching or learning. On the other hand, the incidental unit has various functions of which are about seven in number. This could be because of the absence of speech pr stating which leads the way to different meanings and different readings.